صوت الحرية المسلمة

العدد : ٢١٩ الموافق في محرم ١٤٢١ هجري ٥ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : صقيع المصيبة المحموم	بقلم : سها عبد الحميد أحمد

إنا لله وإنا إليك يا قابض راجعون

إنا لله وإنا إليك بأعمالنا فقط عائدون

إنا لله وإني لأرجو أن تكون يا أبتِ من السابقين السابقين

وإني لأحسبك يا حبيبي من المقربين

منها خلقتنا يا الله وفيها تعيدنا ومنها تخرجنا لنحاسب صاغرين

إنا لله وإني بك يا رباه مؤمنة

وبأقدارك في كل ذرة من كياني راضية

ولحكمك وقضائك طائعة

لكنني أعجز أن أكون به زاهدة

وهو الحبيب الذي فهمت من سيرة حياته أروع معاني الواقعة

ﷺ ﷺ ﷺ

يا الله .. يا قهار أنت أعلم مني بماهية ضعفي

ونكهة حسرتي .. ولوعة إنسانيتي

ومكانته الشامخة في كل معنى في حياتي

أفرغ علي صبراً يطفئ لوعة الفراق

فأنت أعلم بسمو ما طبق من قمة الأخلاق

غسلوه .. وكفنوه .. شيعوه وإليك المساق

يا حبيب .. يا قريب .. يا حليم .. يا كريم يا أبتاه

في صندوق وضعوه وودعوه

أسمع من آهات جدران بيتنا عنيناً لا يطاق

وأكاد أتزلزل من سماعي النبأ لولا أنني أنصت إلى نبرتك الهادئة

تتلو على مسامعي بلا انقطاع سورة الانشقاق

ويقولون لي : كفي عن البكاء

أتذوق الآن نكهة أن تمضي حياة الإنسان كأنها لحظة من الأحلام
كيف لا أبكيك وحسك الموجوع استقر بما في نفسي من آلام
وأناديك وتحاول أن تجيب بلهفة النداء لكنك فقدت القدرة على الكلام
أستعين بك يا الله يا بارئ فوحدك السلام
كل جنود العزم والقوة في عروقي سقطت من أيديها الأعلام
بلى أبكيك أبتِ وقد رفعت بين جدران منزلنا شعار أحكم الأنام
يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام

ꕥ ꕥ ꕥ

بلى تبكيك الأنثى وقد كان لها في بيتك الصدارة
وأمر الإسلام بحسن الخلق كان لك المنارة
وقبل أن تزف إلى عالم الأموات رددت نداء عرفات
لترفع يديك إلى السماء
لبيك اللهم لبيك .. بقيت تردد النداء
وغرغرت روحك بالشهادة
وأنا عنك بعيدة
أحس اليوم كم هي هذه الديار غريبة
كيف لا أبكيك يا خير الآباء
كيف لا أبكيك وقد اخترت لنا أماً هي كما سُميت وفاء
بلى أبتِ أبكيك .. وكل ذرة في كياني دمعة شاهدة على حبك للعطاء
وصبرك البليغ وقد احتضنتك بشغف الضراء
وإلى العظم تغلغل فيك بلهفة فتك البلاء
وفارقت الحياة جسدك بأم عينك عضواً بعد عضو من الأعضاء
راضياً حباً بصاحب البلاء حامداً .. عابداً .. شاكراً
حتى ظن من عاداك أنك في قمة السراء

ꕥ ꕥ ꕥ

.. كيف لا أبكيك يا حبيب وما عرفتك يوماً قاطب الجبين
كل ما كان يعنيك في آلامك المدمرة أن تخفي عن مسامعنا الأنين
كيف لا أبكي رحيلك وبوجودك كان يصهرني الحنين
بلى ..نار متأججة في ذاتي الملوعة تناديك
تعتريني هزة صارمة كلما لمس الهواء شفة حُرمت من تقبيل يديك
طيور محشودة .. تنتقض مذعورة في صدر لن يرتمي بين حنان ذراعيك

ﷺ ﷺ ﷺ

إنا لله وإنا إليك يا قهار .. يا جبار راجعون
أبرد فيها لهيب امرأة تئن في عروقي ثكلى
لا تكاد تصدق أنك ستغدو ذكرى
ولا تدري كيف ستسترد منك إلي الأنا
وهل تقدر إنسانيتك من ذاكرتي أن تمحى
لا .. لا أبتِ مثلك لا ينسى

ﷺ ﷺ ﷺ

كنتَ .. أأقول كنت ؟
ها هو قلمي حرم أن يكتبك ما زلت
يا الله مدني بالصبر يا أواب
بضعفي وجزعي كأني سأفقد الصواب
أبتِ .. حبيبي .. يا من كان غضبه حلماً
وتأنيبه عفواً
وتوبيخه ابتسامة
أبكي فيك حاتماً الذي تأمل كرمك خجولاً
أبكي فيك ابن المسيب الذي أضافك إلى رواياته موقفاً مشرفاً
أبكي فيك لهفة المعتصم على حرمة أنثى يهضم لها حقٌ معتبر
أبكي فيك حكمة لقمان .. وصبر أيوب المذهول

ويئن في خلاياي جنديك المجهول

وجبت الجنة لمن ابتلي وصبر هكذا بشرنا خير رسول

فكيف بمن صبر واحتسب وشكر .. تحييك بجدارة حكمة العقول

أبتِ .. يا أيها الإنسان .. يا أيها الحبيب .. يا أيها الأب الراحل

يبكيك الإيثار الذي كنت له خليلاً

وتفتقدك المروءة التي كنت لها توأماً

وترتعش دماثة الخلق خوفاً أن لا تجد مثلك بديلاً

يا من كنت كالذي ما قال لا إلا في تشهده

ولولا التشهد لكانت لاؤه نعم

أبكيك وقد اختارتك جدتي لتطبيق السنة وصياً

كيف لا وكنت ولداً راضياً مرضياً

وكانت تردد دائماً يرضى الله عنك كما رضي عن محمد

وكما تدعو الأم يستجيب الله الدعاء

وابتليت بالأوجاع والشرع أنبأنا من هم أشد الناس ابتلاء

وقد تفرد الله بحق البقاء

وكل منا إلى فناء

والموت مخلص للأتقياء

ﷺ ﷺ ﷺ

يا من مت برحمته وعفوه تعالى شهيداً

ورحلت إليه في أغلى الأيام أول يوم العيد

وأحتاج لمتابعة الطريق بدونك عزم الحديد

وأنت يا الله أعلم بحرِّ مصيبة فراقه .. أعِنِّي يا الله يا حميد

أحببتك يا أبتِ .. أحببتك يا مودتي .. كما لم يحب أحد أحداً ..

ولا أقول إلا ما قاله النبي المكروب {**قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد**}

ﷺ ﷺ ﷺ

أبتِ أحببت فيك الحب العاشق للصدق الملهوف المبادر

أحببت فيك المربي النادر

قدمت لنا ما تستطيع وما لا تستطيع

لبيت أمانينا قبل أن تولد في نفوسنا

يا الله كم هم الأبناء لصوص شرعيون !

يرجوهم الآباء لنهل المزيد

أرهقتك أحلامنا .. فكنت لمستحيلها حقيقة

رافقتنا حيث تحب كمحب رائع

وحيث لا تحب كحارس مكره لكنه مؤتمن بارع

سيبقى لون تربيتك في ذاكرتي للغاية ناصعاً

ଌ ଌ ଌ

ما لمستنا يدك إلا مداعبة أو محتضنة أو حاملة أو معانقة

لم ترفع العصا على أهلك وأخفتنا في الله

قبل الظهيرة عامل متقن وبعد الظهيرة معلم مبدع

الأصل عندك أخطاؤنا التي كنت عنها تواباً

ولأنك قائدٌ مُثُلي .. ومربي مبادئي

أريد أن أكون من السخط بريئة

ومن أعماق نفسي مثلك راضية

أبتِ بعد فقدانك أدفع بتقصيري معك أبهظ ضريبة

ولا أملك إلا أن أكون محتسبة

ଌ ଌ ଌ

حسبي أنت .. يا الله يا جبار يا نعم الوكيل

أخمد نار فراقه التي تستعر في دمي الكليل

كم كنت يا أبت درساً بليغاً وأنت للغاية عليل

حبيبتي .. حبيبة الحبيب أمي .. أتمنى لو أركع تحت قدميك

أرتشف رعشاتك وأرمم خفقات قلبك المفجوعة
تطير نفضة ضلوعك لتخترق مساماتي وتتلاشى في مساماتك الموجوعة
وأنت تشيعينه بتلاوة الكهف وفي أركان بيتي أسمع صدى نبراتك المهدودة
وأدرجوه بالكفن لترددي الدعاء
في لحظاته الأخيرة المعدودة

ﷺ ﷺ ﷺ

اجبر اللهم خاطرها المكسور
وقلبها الخافق وقد ألقته مصيبة الموت في وهج التنور
كيف لا .. ورب بيتها غدا من ساكني القبور
حبيبتي كتب الله علينا الفناء وإليه وحده النشور
إنا لله وإنا إليك يا قهار راجعون
أبتِ .. يأكلني ظلام حجرتي بنهم
وتجلدني سياط سريري بأعلى الهمم
وقد فارقك مضجعك الآمن إلى مصرعك اليقين
وأحس بيدك بين أناملي باردة
وأتذوق نكهة بقائي كأنها مقبرة
وكل شظية من شتات زلزالي جمرة ملتهبة
وحبي الملهوف إليك دمعة مستعرة

ﷺ ﷺ ﷺ

يا من لمست فيك تواضع العالم
يا أبتِ يا حبيبي .. يا له من فقدان صارم
أستعين بك يا الله .. يا الله فوحدك الدائم
ارحم سيد بيتنا الذي كانت غاية أمانيه البقاء لنا كخادم
اخوتي أخواتي .. أحس بأوجاع الرحيل في صدوركم مجلجلاً
وأسمع صمت الآهات في قلوبكم مرتعداً

أتريدون أن يكون لحبيبنا امتداد

لنكن بعد رحيله ولداً صالحاً دائم الدعوات

بالحفاظ على الصلوات وإخلاص النية والفهم الحقيقي للعبادات

والصبر في الجهاد الأكبر وأن لا نكون من أهل الكبوات

ﷺ ﷺ ﷺ

ولولا أصابعٌ في يدي تيبست

وقلمٌ العبرةُ فيه من شدة الحزن توهجت

لقلت المزيد .. ولكتبت ما هو عليكم وعلي عتيد

ولا أقول لكم كفوا عن البكاء

بل ليبكِ الأبناء على الآباء

ليبكوا أمراً منهم في يوم عصوه

وأفٍّ في وجه أب قالوه

ليبكِ كل الأبناء على آباء

قضوا حياتهم متفانية في جلب الرزق

والعرق ينساب من جبين حياتهم شلالات

آباء يعانون الويلات وينزفون شتى العذابات

ليعودوا إلى بيوتهم محملين بأنواع شتى من الاختيارات

ﷺ ﷺ ﷺ

ليبكِ الأبناء على آباء

عادوا من أعمالهم فلم يهبوا للقائهم بهيبة واستعداد

ولم يتهافتوا عليهم بالقبل والشكر والامتنان

ليبكِ الأبناء على آباء

كانت أصواتهم أخفض من أصوات أولادهم عند اختلاف الآراء

وينتهي الحوار ليصمت الآباء وهم يكظمون الغيظ ويتكلم الأبناء وهم قياصرة

وتكون أحكام من ربي في المؤخرة

وما يريده المربَّى في المقدمة

آباء وقفت معرفتهم وخبرتهم وتجربتهم أقزاماً

لأن جهل أبنائهم كان عملاقاً

آباء أفنوهم بكلمة نريد ولم يركعوا خدماً في مملكة كل أب منهم يسألونه

هو ما الذي يريد .. هو ما الذي يريد .. هو ما الذي يريد ؟

ﷺ ﷺ ﷺ

الأب في بيته رب راحل

فلتنهلوا من رضاه فقدر الله آتٍ وعاجل

وليتأدب الأبناء ويرعوا حرمة الآباء بنبلهم الغزير

واحذروا أن يعاتب ابن أباه على التقصير

وينسى أن الكرة ستعود على عصيانه بنفس المصير

فكفى الأب مكانة أنه يشعر بالحرية وهو لأبنائه أسير

ولا أقول إلا ما قال رسولنا البشير

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن

وإنا لفراقك يا حبيبي يا أبتِ يا عبد الحميد لمحزونون

وإنا لله وإنا إليك يا الله راجعون

ﷺ ﷺ ﷺ